منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٣ السنة الرابعة

نابوليون الاول

والمقابلة بينه وبين أعظم مشاهير الرجال

وهو فصل من كتاب تاريخ الأمبراطورية لموسيو تيارس الفرنسوي

بقلم حضرة الشيخ سليم خطار الدحداح

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

نبدأ بترجمة المؤلف وقد اخذناها ملخصةً عن أشهر المعجمات التاريخية واحدثها عهداً :

هو المسيو لويس ادولف تيارس من أشهر الكتَبةِ في جيل الفرنسيس لهذا العهد ، ومن أعلامِ ساستها العظام . وُلِدَ في مدينة مرسيليا في الخامس عشر من نيسان (ابريل) سنة ١٧٩٧ لابوين فقيرَين . وكان أبوه أحدَ فعلةِ إدارة المرفإ في تلك المدينة . وكانت امهُ مولودة الشرق في بيتٍ فرنسوي النجار ولها صلة قربى مع عائلة « شينيه » التي نبغ منها في تلك المدة الشاعران المشهوران . ويظهر أنَّ والدَ الموسيو تيارس تُوفي وهو في حال الصغر ، فاخذتهُ عائلةُ امهِ وربتهُ عندهـا ، وكانت مع فقرها أحسنَ حالاً من أبي صاحب الترجمة . وكانت لا تخلو عن بعض علاقاتٍ مع أُلي الوجاهةِ والنفوذ في تلك المدينة ، فأُتيحَ لها نظم لويس في

عداد طلبة المدرسة الرسمية المسماة « ليسه ده مارسايل » بلا مُقابل ولا عوَض . فمكثَ فيها مدةً طويلةً ، حتى أتمَّ دروسه الثانويَّة ، وحاز قَصَبَ السبقِ في أكثر المراتب والحلقات المدرسية — وكثيراً ما يَقعُ مثلُ ذلك للتلاميذ الفقراء في بيوت العلم ، لما يُكثرون من الجِدِ والاجتهاد مُكبّين على التحصيل رجاء المصيرِ الى غايةٍ تترقىَّ بها حالتهمُ الوضيعة. وفي حالِ خروجهِ من المدرسةِ المذكورة دخل كلية مدينة « اكس[1] » ، حيثُ تلقّى فنَّ القوانين والحقوق . وحصل في سنــة ١٨١٩ على شهادة المحاماة . وفي هذه المدرسة الكليّة تعرَّف بالموسيو « مينيه » ، واستمرَّا صديقين عزيزين الى آخر حياتهما . وقد ظهر تيارس ، وهو تلميذٌ ، كما عُرِفَ في سائرِ حياتهِ مجتهداً محبًّا للعلوم والمعارف ، ميّالاً الى عدم الاقتصار على اتّباعِ خطةٍ واحدةٍ ، شأنَ من طُبعِ على مساماةِ الأمور الجسام ، وتوقد الذهن والحماسة

وفي سنة ١٨٢١ قدِم تيارس مدينة باريس ، وكانت حينئذٍ فرنسا في قبضةِ الملوك البوربونيين ، وجميع شعبها في اضطرابٍ بداعي تلاطمِ أمواج السياسة ، وادبار المملكة ، ومصيرها الى الهون ، بعد انكسارات نابوليون الأول وتقهقرِ الدولةِ بعد عظمتها ، ولشمول شدَّة القلقِ قلوبَ الشعبِ ، وتوزُّع خواطرِ الفرنسيس بين حبّ الملكيين وبغضهم ، والميل الى الجمهوريةَ أو الأسف على الأمبراطورية . فجاء تيارس ملتجئاً الى « انويل » ، وهو إذ ذاك أحــدُ نوّاب مجلس الأمة المعاكسين للبوربون ، فمضى بهِ الى المثري « لافيت » ، وعرَّفهُ بهِ وقدَّمــهُ لهُ ، وكانا كلاهما من أصدقاء الدوق دورليان رئيس الفرع الآخر الملكي (وهو الذي ملك فيما بعد باسم لويس فيليب من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨) وهكذا توصل تيارس دفعةً واحدة الى أعلى المراجع ، وتعرَّف بأشهرِ رجالِ الأمة وأخذ يجتهد ويسعى حتى أحرز ذكراً متشاهراً . وقد أُشرب في قلبهِ لأول وهلةٍ بغض الاسرة المالكة ، وجعل همَّهُ السعيَ لقلبها وإركاسها ؛ وأخذ يُساعــد في انشاء جريدةٍ شهيرة مدعوة « كونستيتوسيونل » أي الدستوريّ واتّفق أن دخل صديقهُ مينيه في

(١) مدينة في جنوبي فرنسا وهي ومرسيليا في ولاية واحدة

تحرير جريدة « كوريه فرانسه » ، وشرع تيارس منذ سنة ١٨٢٣ في وضع «تاريخ الثورة الفرنسوية » فأكملهُ سنة ١٨٢٧ . فجاء تأليفاً كبيراً ذا عشرةِ أجزاء بحثَ فيها عن أسبابِ الثورة وحوادثها ونتائجها ، وأعمال دولة فرنسا في خلال السنوات العشر المنقضية بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٩ ، منذ أُخِذَت قلعةُ الباستيل الى ان استأثر بونابرت بالسلطة

ولكن يؤخذ على المؤلف في هذا التأليف فرطُ تشيُّعِهِ لدعوة أهل الثورة ، وشدَّة استسلامه للتقادير ، واضطرار الرجال والناس الى التسليم بهذا المعتقَد القدَريّ غير أن هذا التاريخ ، على علاّتهِ ، قد جعل لصاحبهِ منزلةً رفيعة بين أدباء فرنسا وأوربا بأسرها حتى صار يُحسَبُ من رجال الدنيا المعدودين

وفي غرَّة عام ١٨٣٠ أنشأ هو وميئيه وأرمان كارول جريدةً سياسيةً ، دعوها « الناسيونال » ، وكان لها شأنٌ كبير في هبوط شارل العاشر من عُلاه آخر تموز (يوليو) من تلك السنة . ثم انَّ تيارس وبعضَ أصحابهِ هم الذين زيَّنوا لويس فيليب للشعب ؛ وكان تزيينهم اياه أقوى سببٍ في صيرورته ملكاً على فرنسا . فأخذ هذا يقرّب اليهِ تيارس مكافأةً لهُ على خدمه . وكان من ثمرات تقرُّبهِ انهُ عاضد وزارة لافيت[1] . ثم لمّا انقلبت هذه الوزارة ، عمد تيارس الى تعزيز وزارة كزيمير برّي الشهير . ومن بعد موت هـذا السياسي ، انتظم تيارس في سلك الوزراء إذ سُمّيَ ناظراً للداخليـة ، وذلك في ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ . وأشهر ما كان لهُ في عهـد وزارتهِ توصّلهُ الى القاء القبض على الدوقة دى برّي ، والدة الكونت دي شامبور ، التي كانت ساعيـةً لايقاظ راقدِ الفتنة ، وإيقاد نار الثورة ، مُطالبةً بحقوق مُلكِ ابنها الارثية على فرنسا ولكن يُؤخذ على وزيرنا الوسائط الغير الشريفة التي استعملها مع آلتهِ دوتز الاسرائيلي طلباً لهذه الدوقة الأسيرة

ومنذ ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ الى ٢٩ من تشرين الأول

---

(١) ان العادة قد غلبت على تسمية الوزارة باسم رئيسها أو باسم أهم شخص من أعضائها

سنة ١٨٤٠ أي فى مدة ثماني سنين كاملة تولى تيارس منصة الوزارة عدة مرارٍ ، فكان تارةً في وزارة الخارجية وأخرى في الداخليـة ، وأحياناً في وزارة المعارف ، وكثيراً ماتولى كلاً منها على حدةٍ ، أو احداها منضمةً الى رئاسة الوزراء وأظهر فى جميعها قوَّة جنانٍ ، ورباطة جأشٍ نادرتين غريبتين . واشتهر بمحافظتهِ على كل ما يؤُولُ الى مجد فرنسا ، وبنزعته الى إضعاف سلطة الملك الذاتية . وهو الذي حدَّد القوانين الدستورية بهذه الكلمات الشهيرة « المَلِكُ يملكُ ولا يحكم »

وفي ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٨٤٠ حدث ان اللَورد بلمرستون السياسي الانكليزي تمكن من عقد محالفة اوربية دون إدخال فرنسا فيها ، قصدَ طردِ رجال حكومةِ مصر من سوريا والاناضول . فبلغ ذلك الموسيو تيارس ، وكان حينئذٍ رئيساً للوزارة وناظراً للخارجية ، وابتدر إنكار هذا العمل محتجًّا على صاحبهِ ، وحمل المَلِك على إظهار الاستياء ممّا كان ، وما زال بهِ حتى اضطرّهُ الى تحصين باريس ، وتعبئة جيوش فرنسا ، وتسليح صنف الرديف والجند الاحتياطي ، طلباً لشرف فرنسا . وتأهَّبَ للحرب ولكنَّ الملكَ تخوَّف من هذه الاستعدادات ، وأوجبَ على وزيرهِ أن يدَعَ المنصب مستقيلاً ففعـل . وكان تيارس فى مدَّةِ وزارتهِ قد حَصَل من لَدُن الانكليز على الرخصة بنقل رفات نابوليون الاول الى فرنسا

ثمَّ خلف تيارس على الوزارةِ مناظرهُ المؤرّخُ غيزو الشهير ، وكان جانحاً الى السلم ومُطاوَعةِ الملك . أمَّا تيارس فانهُ بهذين العملين الاخيرين ، وهما نقلُ بقايا نابوليون واستعدادهُ لمحاربة أوربا ، قد استمالَ الشعبَ اليهِ وحصل على محبتهِ وثقتهِ ، واستمرَّ تيارس مدَّةَ السنوات الثماني التي مضت على زوال وزارته وسقوطه من منزلته الى حين خلع الملك لويس فيليب ، رئيساً لجميع المناوئين الذين حاولوا اهباط غيزو . . .

وفى الـ ٢٤ من شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ خُلع لويس فيليب من تخت الملك ، فانحاز تيارس الى الجمهورية ، وكان قد شرع بتأليفِ تاريخ لحكومة نابوليون الاول سمَّاهُ الحكومة القنصلية والامبراطوريَّة Le Consulat et l'Empire

وفى عهد الجمهوريّة الثانية (من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٥٢) كان عضداً للجمهورية ونائباً فى المجلس . ولما تولىّ لويس نابوليون رئاسة الجمهوريّة ، كان تيارس فى عداد خصومهِ . وبالجملة فقد آل الامر بتيارس الى أخذهِ مع من سيقوا الى السجون بحادثة ثاني كانون الاول سنة ١٨٥١ ووضع فى سجن قلعة مزاس بضعة ايام ثم أبعد عن فرنسا وفى شهر آب سنة ١٨٥٢ أذن له فى الرجوع الى وطنهِ فعاش فيهِ مدة احدى عشرة سنة بعيداً عن السياسة والحكومة ملازماً الوحدة والانفراد منقطعاً الى التأليف فاكمل فى سنة ١٨٥٧ كتاب الحكومة القنصلية والامبراطوريّة السابق الذكر فجاء تأليفاً نفيساً في عشرين جزءاً لم يسبقهُ احد من المؤرخين الى ما وصل إليهِ فيهِ من الدقة والصدق وعلو طبقة الكتابة وخلوّها عن شوائب الكلفة . ومن سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ انتخب نائباً فى مجلس الامة وكان من أعظم معاكسي نابوليون الثالث وقد اشتهرت خطبهُ سنة ١٨٧٠ مخالفة للرأي فى شبوب الحرب على بروسيا . وبعد أن شبّت نارها واشتدّ اوارها ودارت على فرنسا الدوائر وأسر نابوليون الثالث كان تيارس فى عداد الداعين الى تشييد الحكومة الجمهوريّة وذهب من قبل الحكومة الجديدة معتمداً الى لندرة فثيانا فبطرسبورج ففلورنسا سعياً وراء الحصول على مساعدة واحدة من انكلترة أو النمسا أو الروسية أو ايطالية ضد دولة بروسيا المنتصرة فلم يحل باقلّ نتيجة وقد اتمّ هذه الرحلة الشاسعة بمدة لا تزيد على عشرين يوماً على كثرة تقدّمهِ فى السن وفى ١١ ٣٠ من تشرين الاول حصل بواسطة الروسية على الاذن بدخول باريس ليستجيز الحكومة فى مخاطبة بروسيا عقداً للصلح

وبعد عقد الهدنة وتسليم باريس شرع الفرنساويون بتنظيم الحكومة وتجديد الانتخابات فانتخب تيارس نائباً من قبل ثلاثين ولاية فاختار النيابة عن ولاية السين على نيابات سائر الولايات وذلك فى ٨ شباط سنة ١٨٧١ وفى ١٧ منهُ سمي رئيساً للحكومة الاجرائية ولمّا شبت نار الثورة المعروفة بالكومونية أو الاشتراكية واستولى دُعاتها على باريس سلّم تيارس قيادة جيش الحكومة الى الماريشال دي مكماهون

ونال من بروسيا الاذن بزيادة عدد الجيش فافتتح مكماهون باريس بعد حرب شهر ونصف آخر وحصار اسبوع كامل . ثم ان مسيو تيارس تمكن بحكمتهِ وجدّه وتعويل الدول عليهِ من تجديد قوة ادبية لفرنسا على أثر حطمتهـا الهائلة وبعث المتموّلين على تأدية أموال الغرامة الباهظة

وفى ١٢ آب سنة ١٨٧١ انتخب رئيساً على الجمهورية وتأتّى لهُ بعد ذلك عقد مقاولات جديدة مع ألمانيا لتقريب آجال الغرامـة الحربية وخروج جنود ألمانيا من فرنسا وفى د أذار سنة ١٨٧٣ أعلن للمجلس ، والناس يغبرون مهللين مصفقين بالأيدي ، أن خامس ايلول عامئذٍ هو موعد خروج آخر جندي ألماني من ارض الجمهورية

فقرّرت ندوتا النواب والشيوخ ان الموسيو تيارس قد استحق معرفة جميل الوطن . . . بيدَ أنهُ لم يستطع طول المكث والاستمرار فى منصبه ، اذ كان معظم النواب ضد الجمهورية ؛ و بدا له عندئذٍ ،فهوّل على الهيئة النيابية بالاستقالة ، فاقيل فى الـ ٢٣ من ايار سنة ١٨٧٣ ، وأديل منهُ الماريشال دي مكماهون رئيساً للجمهورية . فاعتزل تيارس مظاهر السياسة ، إلاّ أنهُ بقي رئيساً فخرياً لحزب الجمهورية ولمناوئي حكومة الماريشال . وفى ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ نائباً عن ولاية بلفور . وفى خلال سنة ١٨٧٧ توفي في مدينة سان جرمان وقد تجاوز الثمانين سنة من عمره فأقام له الفرنساويون مأتماً عظيماً يندر مثله . ومن آثاره الجليلة عدّة تآليف نخصّ منها بالذكر تاريخ لاس وأعماله المالية ، طُبع فى سنة ١٨٢٦ و ١٨٥٨ ، وحقوق التملك طبع في سنة ١٨٤٨ ومذهب الاشتراكيين سنة ١٨٤٩ والقديسة هيلانة سنة ١٨٦٢ (وهي جزيرة منفى نابوليون الأول) ، وواترلو (آخر مواقع نابوليون الأول) سنة ١٨٦٣

وأشهر مؤلفاتهِ كلها التأليفان اللذان ذكرناهما أولاً في سياق ترجمته ، وهما تاريخ الثورة ، وتاريخ الحكومة القنصلية والامبراطورية. وقد ختم الموسيو تيارس هذا التأليف الأخير بوضع مقابلة أو موازنة بين أعظم مشاهير الرجال — يريد بهم أشهر من جاء

ذكرهم في التواريخ الغربية من فاتحين وملوك وقوّاد — وهم بحسب تواريخ مجيئهم: الاسكندر المكدوني . وانّيبال القرطجني . ويوليوس قيصر الروماني . وشارلمان الفرنكي أو الفرنساوي . وفريدريك الثاني الكبير البروسياني . ونابوليون الاوّل

ولما رأيت طول باع المؤلّف المشار اليهِ في وضع هذه الموازنة و بيان منزلة كل واحد من هؤلاء الرجال الأعاظم خلوًّا عن ضلع أو تشيُّع أحببت نقلها الى اللغة العربية حبًّا بالافادة :

الاسكندر

هو الاسكندر المكدوني المعروف بالكبير الملقب عند العامة بذي القرنين . ولد سنة ٣٥٦ قبل المسيح وخلف أباه فيلبس على ملك مكدونية سنة ٣٣٦ اي في السنة العشرين من سنيه وتوفي سنة ٣٢٣ أي في السنة الثالثة عشرة من ملكه

نشأ الاسكندر على آداب اليونان، وتشرَّب امالهم ونزعاتهم الى الزهو والخيلاء، وورث عن ابيهِ فيلبس جيشاً حسن الدربة والانتظام. فما لبث بعد استوائهِ على عرش الملك أن نهض للفتوح ، فسطا على اسيا وداخها اذ لم يجد الاّ مملكة الفرس الهابطة الساقطة، ومضى قدماً في غزواتهِ حتى انتهى الى أقاصي حدود المعمور المعروفة وقتئذ . ولو لم تثبّطه جنودهُ عن مزيد اقدام في التوغل والاستقصاء، لداوم الزحف الى البحر المحيط الهندي . ولما اضطرّ الى القفول لم يبقَ له الاّ امنيّة واحدة وهي تجديد غاراته واستئناف غزواته . ولا تحسبنّ أيها القارئ اللبيب ان الاسكندر كان يقصد بالفتوح نفعاً أو خيراً لوطنهِ الذى لم يكن ليقوى على الاستئثار بتلك المظاهر ، وانما كان أقصى مرادهِ بذلك تمهيد مهيع عظيم في وجه رائد مطامعه وأمانيه ؛ فغاية متمناه بُعدُ الصيت وطائر السمعة والابهة الخيالية وتحرّي مرضاة شعب اثينا

وقد ذكر المؤرّخون شهرته بالكرم والحلم والرحمة والعدل، الاّ انهُ أقدم على